رحلات حجاج شرق أفريقيا وآثارها في القرنيين التاسـع عشـــر والعشرين

د. صالح محروس محمد

مقدمة :

بدأت الهجرات الإسلامية إلى شرق إفريقيا منذ ظهور الإسلام تمثل ذلك في المجموعة الصغيرة من المسلمين الذين وجههم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة مما يؤكد أن الصلات بين الجزيرة العربية وأفريقيا كانت قديمة. انتشر الإسلام في شرق إفريقيا عن طريق التجار المسلمين، وكذلك للهجرات العربية والفارسية دور هام في نشر الإسلام. وكان النصيب الأكبر من حظ الدور العُماني هجرات وحكومات حيث حكم العمانيين زنجبار ما يقرب ثلاثة قرون منذ أسرة اليعاربة ثم البوسعيديين حتى سقوط الحكم العربي في زنجبار يناير ١٩٦٤م.

وكانت طرق حجاج شرق أفريقيا البحرية لمكة المكرمة تبدأ من موانئ دار السلام في تنجانيقا وممباسا في كينيا وزنجبار وهى أهم الموانئ التي يتجه منها حجاج شرق إفريقيا إلى جدة وتتوقف السفن عادة في ميناء عدن ومنه إلى ميناء جدة ثم براً حتى مكة المكرمة. لقد كان ميناء زنجبار من أهم موانئ شرق أفريقيا الذي يتجمع فيه الحجاج من منطقة شرق أفريقا التي تضم كينيا وأوغندا وتنجانيقا وبورندى ورواندا عن طريق القوافل التجارية، فلقد سلك حجاج شرق أفريقا نفس طرق القوافل التجارية من الداخل للخارج. ومن هذه الطرق الطريق الذي يبدأ من بجمايو Bagumoyo في مواجهة زنجبار ويتجه جنوباً ثم ينحني في اتجاه الشمال الشرقي لتجنب المرتفعات وتقع عليه أكبر المستعمرات العربية تابورة على بعد ٦٠٠ ميل من الساحل وينتهي هذا الطريق عند بحيرة تنجانيقا..وأصبحت مدينة تابورة عقدة المواصلات الداخلية، وطريق آخر إلى الجنوب منها يبدأ طريق آخر من كلوه وينتهي عند بحيرة نياسا ويتفرع منه طريق بمحاذاة سهل نهر« روفما » بين الممتلكات العربية والبرتغالية، ومن أطول هذه الطرق ذلك الذي يبدأ من بمبا وتابورة بالطريق الأول ثم يستمر في الاتجاه شمالاً حتى بحيرة فيكتوريا. ووصل التجار العرب إلى عاصمة مملكة يوغنده وأصبحوا على مقربة من التجار العرب الذين يأتون إلى هذه المناطق من السودان .

واهتم السلطان عبد الحميد الثاني السلطان العثماني بتقديم رعاية لسلاطين زنجبار وأسرهم عند قيامهم بأداء فريضة الحج عن طريق ولاته على الحجاز ،وتجلى ذلك فى رحلة الحج التى قام بها السيد برغش سطان زنجبار عام ١٨٧٧ وأسرته في حج ١٣١٢ هـ ولقد لقى السيد على بن حمود ١٩٠٢– ١٩١١ترحيباً كبيراً من حاكم عام بلاد الحجاز حيث أطلقت له ٢٧ طلقة تحية له ولقى الرعاية طوال إقامته في مكة المكرمة .وترتب على رحلات الحج هذه وجود محطات تجارية وازدهار النشاط التجارى علي طرق الحج وانتشار الإسلام واللغة العربية .

ويمكن تناول هذه الورقة في النقاط التالية

(*) مدرس التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة بني سويف .

أولاً : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا

ثانياً: طرق الحج الداخلية إلى زنجبار في شرق أفريقيا

ثالثاً: الطريق البحري من زنجبار إلى جدة

رابعاً:جهود العثمانيين في حماية الطريق البحري إلى جدة

خامساً :رحلات حج سلاطين زنجبار

سادساً: النتائج الآثار والتوصيات

أولاً : انتشار الإسلام في شرق أفريقيا

لقد انتشر الإسلام في شرق إفريقيا عن طريق التجار المسلمين وكذلك كان للهجرات العربية والفارسية دور هام في نشر الإسلام. وكان النصيب الأكبر من حظ الدور العُماني هجرات وحكومات. بدأت الهجرات الإسلامية إلى شرق إفريقيا منذ ظهور الإسلام تمثل ذلك في المجموعة الصغيرة من المسلمين الذين وجههم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة مما يؤكد أن الصلات بين الجزيرة العربية وأفريقيا كانت قديمة، ومنذ الفتنة الكبرى التي بدأت في عهد خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه[٢].

وهاجرت الوفود من اليمن من حضرموت ومدنها في القرن السابع الميلادي إلى شرق أفريقيا وكان لها دور في نشر الإسلام[٣]. حيث عبروا البحر الأحمر إلى شرق السودان والقرن الأفريقي ثم إلى ساحل الزنج ومنه جنوباً على طول الساحل الشرقي لإفريقيا[٤]. ثم توالت الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا وكان أهمها هجرة الأخوين سعيد وسليمان ابني الجلندى من قبيلة الأزد العُمانية كما سبق الذكر وهجرة الإخوة السبعة من قبيلة الحارث العربية وكذلك هجرة النبهانسليمان بن سليمان بن مظفر[٥].

ولعل من أبعد الهجرات الإسلامية أثراً في تاريخ المسلمين بشرق إفريقيا تلك الهجرة[٦] التي أتت من شيراز في القرن العاشر الميلادي، واستقرت في القسم الجنوبي من الساحل أو ما يقابل تنجانيقا تنزانيا وأسست دولة سواحيلية عرفت باسم دولة الزنج على يد على بن الحسن الشيرازي الذي انشأ مدينة كلوه. وهى من الهجرات الفارسية الهامة التي كان لها أثر كبير في المجتمعات البدائية واختلطوا مع الأفارقة خاصة مع قبائل الهاديمو The Hadimi والتمباتو Tumbatu والو بمبا Wa pemba

---

(٢) سليمان عبدالغنى المالكى : دور العرب وتأثيرهم فى شرق إفريقيا العرب فى أفريقيا سمنار قسم التاريخ آداب القاهرة ١٩٨٧م، ص: ١٢٨.

(٣).Westernman Dietrich: The African Today and Tomorrow Third Edition London 1949 P.133

(٤) سليمان عبد الستار خاطر :أفريقيا الإسلامية . مجلة الدراسات الأفريقية العدد الخامس ١٩٧٦ ص: ٢٣٠.

(٤) ناصر بن حميد العدوى: نماذج من البحوث الفائزة في مسابقة المنتدى الأدبي ط١ وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عُمان ٢٠٠١ص: ١٢ وما بعدها.

(٥) صلاح العقاد وجمال زكريا قاسم : مرجع سابق ص: ٧.

الإفريقيين الذين تأثروا بالثقافة الفارسية مما جعل أغلبية السكان في زنجبار يسمون أنفسهم بالشيرازيين[٧]. وكذلك كان من أثر استرداد العرب لشرق أفريقيا بعد الغزو البرتغالي أن نشط الإسلام وتثبتت أصوله[٨].

على أن الدور الأعظم في نشر الإسلام في شرق إفريقيا كان على يد السيد سعيد بن سلطان عندما اتخذ من زنجبار مقراً لحكمه لعُمان وزنجبار معاً، وأخذت السلطنة في الاتساع، وانتشر الإسلام في عهده من الساحل إلى الداخل مع حركة القوافل التجارية[٩] حيث كان للتجار دور مهم في نشر الإسلام في شرق إفريقيا حيث كانت الصفات الحسنة لهم في زنجبار من أمانة وشرف وتمسكهم بتعاليم الإسلام عاملاً هاماً في نشر الإسلام[١٠]. ودخلت قبائل التياموزى الإفريقية في الإسلام بسبب إعجابهم بمظهر التجار المسلمين وحسن أخلاقهم وأمانتهم وصدقهم في التعامل[١١] ويقول ليفنجستون في خطابه في ١٣ ديسمبر ١٨٦٩ م للقنصل البريطاني في زنجبار كيرك Kirk عن التجار المسلمين الزنجباريين أنهم رجال مهذبون ويتميزون بالشرف والأمانة [١٢].

ويعد حميد المرجبى تبو تيب Tippo Tip من أبرز الشخصيات التي كان لها دور هام في نشر الإسلام في الكونغو في أواسط أفريقيا حيث وصل إلى الكونغو في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي عن طريق طُرق التجارة التي اكتشفها العرب العُمانيون[١٣]. ويقول ريتر بتر Ritner Peter إن تجارة الرقيق ترجع إلى الرجل الاسطوري مهاجم زنجبار تيبوتيب وأن كانت تجارة الرقيق شائعة آنذاك[١٤]، ويحمله بعض الأوربيين مسؤولية تجارة الرقيق ويقولون إنه سبب العنف والخراب هو وأتباعه من التجار المسلمين حين أمسكوا بالناس الأحرار وجروهم إلى سوق الرقيق[١٥]. وهذا مما لاشك فيه افتراء على الشخصية العربية والإسلامية حيث إن العرب شاركوا مثل غيرهم من الأفارقة والأوربيين في هذه التجارة .

---

(٧) .Lofchie Michael F: op.cit P 25

(٨) هوبير ديشان :الديانات فى إفريقيا السوداء ترجمة أحمد صادق حمدي مراجعة محمد عبد الله دراز القاهرة ١٩٥٦م، ص: ١٦٢.

(٩) ك.أساري أوبوكو:الدين في أفريقيا خلال فترة الاستعمار تاريخ أفريقيا العام أفريقيا تحت السيطرة الأجنبية ١٨٨٠-١٩٥٣ ج ٧ اليونسكو ١٩٩٠ ص: ٥٢٠.

(١٠) شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرازق إبراهيم: تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم دار الثقافة القاهرة ١٩٩٦ ص:١١١.

(١١) سبنسر ترمنجهام: الإسلام فى شرق إفريقيا ترجمة وتعليق عاطف النواوى القاهرة ١٩٧٣ ص ٦١.

(١٢) .Livingstone David: Aletter to John Kirk. Political Agent Zanzibar. The Royal Geographical Society of London Vol 14 No 1 1869 – 1870 P. 39

(١٣) يواقيم رزق مرقص:حميد المر جبى والوجود العربي فى الكونغو ماجستير غير منشورة معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ١٩٧٥ ص ٣٠٢ومابعدها.

(١٤) .Ritner Peter:The Death of Africa New York 1960 P.8

(١٥) .Page Melvin E :The Manyema Hordes of Tippu Tip Acase Study In social Stratification and The Slave Trade in Eastern Africa The International Journal of African Historical Studies vol 7 No 1 1974. P. 70

ولقد حاول تيبوتيب التصدي لستانلى في الكونغو لمعرفته بهذه الأماكن وبمساعدة سلطان زنجبار، وما أنْ ضعفت السلطنة العربية في زنجبار حتى ضعف معهاالوجود العربي في الكونغ[١٦]. ولقد حاول حميد المرجبي الاحتفاظ بمركزه وبالوجود العربي في الكونغو أمام ضغط دولة الكونغو الحرة البلجيكية وقد تعاون مع هذه الدولة عام ١٨٨٧م وقبل وظيفة حاكم عام الكونغو براتب على أن يقبل موظف بلجيكي يعاونه في مباشرة اتصالاته الخارجية[١٧]. ولقد شكل العرب أرستقراطية تجارية وسياسية في الكونغو في ظل مملكة سلطنة زنجبار[١٨].

وعلى الرغم من الدور العُماني الواضح في نشر الإسلام في شرق أفريقيا وزنجبار لم ينتشر المذهب الأباضي[١٩] وهو مذهب آل بوسعيد بشكل واسع والسبب أن الحكام البوسعيديين كانوا يقدمون المصالح التجارية على الشئون السياسية والدينية ويظل المذهب الشافعي سائداً بين مسلمي شرق افريقيا[٢٠].

الخلاصة أن الإسلام انتشر منذ ظهوره في شرق إفريقيا وأن بعض الأحداث المهمة في الدولة العربية الإسلامية قد أسهمت في وجود هجرات عربية إسلامية إلى شرق إفريقيا، وكذلك لم يكن الانتشار في الساحل فقط، بل امتد إلى الداخل، وكان للدور العُماني نصيب الأسد في نشر الإسلام في شرق إفريقيا. وكان من آثار ما حققه الإسلام من تقدم كبير قبل وصول القوى الاستعمارية أن حل التقويم الإسلامي في أجزاء كبيرة من أفريقيا ،ودخلت كلمات عربية كثيرة في عدد من اللغات الأفريقية وتأثر الأفارقة بالثقافة الإسلامية والهندسة المعمارية الإسلامية والألقاب الإسلامية والموسيقى العربية. ونشأت الثقافة السواحيلية التي هي امتزاج بين ثقافة البانتو والثقافة الإسلامية وكذلك اللغة السواحيلية التي هي اللسان المشترك بين أنحاء شرق أفريقيا وكان للشعب السواحيلي المسلم دور في نشر الإسلام وكتبوا اللغة السواحيلية بحروف عربية[٢١]. ومن الآثار الأخرى في شرق أفريقيا التي هي شاهدة على الوجود

---

(١٦).Curtin and others: Africa History London 1965 P.393

(١٧) جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية القاهرة ١٩٧٥ ص ٢٤٤

(١٨) يواقيم رزق مرقص :مرجع سابق ص: ٣٠١.

[١٩]المذهب الإباضى. ولدت فرقة الأباضية في مدينة البصرة وفيها شبت ومنها تفرعت وانتشرت وهى إحدى الفرق الإسلامية الكبرى التي بدأ ظهورها أثناء التحكيم بين على بن أبى طالب ومعاوية ين أبى سفيان في أعقاب موقعة صفين سنة ٣٧ هـ / ٦٥٧ م إذ رفض نفر من جند على بن أبى طالب التحكيم وهم الذين عرفوا بالخوارج وقد حارب على بن أبى طالب من سموا الخوارج وأنتصر عليهم في موقعة النهروان في سنة ٣٧ هـ / ٦٥٧ م واعتزل أفراد من أولئك الخوارج أصحابهم بعد معركة النهروان وتوجهوا صوب البصرة وأخذوا يدعون لمذهبهم سراً خوفاً من بطش الدولة الأموية التي قاومتهم بعد مقتل على بن أبى طالب سنة ٤٠ هـ / ٦٦٠ م ويرجع هذا المذهب الإباضى إلى عبد الله بن إباض ومما يميزه من النواحي الدينية أن أتباعه لا يقولون آمين في نهاية سورة الفاتحة بحجة أنها لم ترد ولا يرفع الإباضى أصبع يده اليُمنى وهى يقرأ التشهد ويقول ما الفائدة ما دام القلب واللسان يشهد ، ويعتبر الإباضى التحدث أثناء الوضوء يفسده ، وحكم المسافر أنه يحق له الإفطار في رمضان والجمع في الصلاة للمزيد من التفاصيل انظر نايف عيد جابر السهيل :الأباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين الكويت ١٩٩٤. ص ١١٢ وما بعدها.

(٢٠) صلاح العقاد وجمال زكريا قاسم : مرجع سابق ص: ١٥ .

(21).Mcmahon Elisabeth Mary: Becoming Pemban: Identity, Social Welfare and Communty During Protectorate Period sumitted to the facalty of the University

العربي والإسلامي، تسميات المدن مثل دار السلام عاصمة تنزانيا وهى مدينة عربية إسلامية أقامها البوسعيديون وغيرها من المدن[٢٢].

ثانياً: طرق الحج الداخلية إلى زنجبار في شرق أفريقيا:

ازدهرت الطرق الداخلية للتجارة التي هي طرق الحج من تابورا وبورندى وروندا وتنجانيقا إلى ميناء زنجبار في عهدالبوسعيديين، حيث وصل الوجود العماني في شرق إفريقيا، إلى ذروة الازدهار والتقدم في جميع المجالات خاصة الاقتصادية وبالأخص التجارية ذلك في عهد أسرة البوسعيد*ويعتبر السيد سلطان بن أحمد البوسعيدي أحد أبناء الإمام أحمد بن سعيد ١٧٩٣-١٨٠٤ من الشخصيات المهمة في أسرة البوسعيد فقد كان هدفه تحويل عُمان إلى إمبراطورية بحرية تضم الخليج العربي والممتلكات في شرق أفريقيا ولكنه لقي مصرعه قبل تحقيق هدفه[٢٣]. ولم تظهر زنجبار وتزداد قوتها وأهميتها إلا في العقود الأُولى من القرن التاسع عشر[٢٤] فكان القرن التاسع عشر هو قرن نهضة زنجبار تحت أُسرة البوسعيد وعصر تنمية اقتصادية سواءً في عُمان أو في زنجبار[٢٥].

وليس بخاف عنا أن بداية هذه النهضة كانت في عصر السيد سعيد منشئ زنجبار الحديثة ١٨٠٦-١٨٥٦ وترجع أهمية عصر السيد سعيد في تاريخ العرب الحديث أنه أنشأ دولة عربية إفريقية آسيوية مترامية الأطراف ويعد بحق أكبر الشخصيات العربية في النصف الأول من القرن التاسع عشر.ولقد نقل عاصمة دولته إلى زنجبار عام ١٨٣٢م. وهناك عدة عوامل مهمة لاختياره زنجبار؛ لتكون مقراً لحكمه، أهمها موقع زنجبار الاستراتيجي القريب من الساحل الأفريقي بمنأى عن غزو القبائل الأفريقية المعادية، ووجود مرفأ عميق به ميناء لرسو السفن[٢٦]. وكذلك موقعها المتوسط بين موانئ شرق أفريقيا الذي أعطاها مركزاً اقتصادياً هاماً وتعتبر المنفذ الرئيسي للمنتجات الأفريقية والمواد الخام بالإضافة إلى انخفاض درجات الحرارة فيها عن مسقط كما إنها تمتاز بخصوبة تربتها[٢٧]. وكذلك كثرة مواردها ووفرة خيراتها وحمايتها من الأطماع التي بدأت تلوح في الأفق بعد رحيل البرتغاليين[٢٨].

Graduate school in Partial Fulfillment of The requirements for the degree Doctor of Philosophy in Department of History Indiana University 2005 P.9

(٢٢) ك أسارى أوبوكو:مرجع سابق ص : ٥٢١.

(٢٣) غيث، حمامه خلفان أحمد: التأثيرات العمانية فى زنجبار رسالة ماجستير غير منشورة معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ١٩٨٩م، ص: ٧٠

(٢٤).Hallet Robin: The Penetration of Africa Vol 1 to 1815 London 1965 P 149:

(٢٥).Bhacker Reda: Family Strife and Foreign Intervention: Causes in the Separation of Zanzibar from Oman: a Reappraisal Bulletin of school of Oriental and African Studies University of London Vol 54 No. 2 1991. P. 271

(٢٦) ل.د هولنجزورث:زنجبار تحت الحماية ١٨٩٠ – ١٩١٣ ترجمة حسن حبشي القاهرة ١٩٦٨: مرجع سابق، ص: ٥

(٢٧).Bin Shahbal Suleiman Said: Zanzibar the Rise and Fall of An Independent State 1895-1964 U A E W.D p.39

(٢٨) حجاج ، السعيد رزق :المسلمون فى تنزانيا بين الأمس واليوم القاهرة ١٩٨٨ ص: ٤١.

ولقد كان للسيد سعيد سياسة داخلية وخارجية عظيمة، فكانت سياسته الداخلية تتضمن إنجازات مهمةً في المجالات الاقتصادية خاصةً الزراعة والتجارة.ففي مجال الزراعة فقد تطورت الزراعة في عهده حيث استخدم الطرق الحديثة في مجال الزراعة والاستغلال الأفضل للتربة والظروف المناخية[٢٩]. ولقد جلب السيد سعيد من جزيرة موريشيوس الإندونيسية شجر القرنفل ونشر زراعته في زنجبار فحقق بذلك ثروة زراعية في البلاد وأصبحت زنجبار من أغنى البقاع بسبب زراعة القرنفل[٣٠]، حيث كانت تنتج زنجبار وبمبا حوالى٥/٤ الإنتاج العالمي من القرنفل مما جعل لها وضعاً اقتصادياً خاصاً[٣١]. ولقد أقام المجتمع العربي في زنجبار اقتصاداً زراعياً مزدهراً ساعد على ظهور الأرستقراطية العربية[٣٢].

كان السيد سعيد تاجراً ماهراً منظماً لتجارة بلاده مع العالم الخارجي وبنى لهذا الغرض أسطولاً ضخماً جاب بتجارة زنجبار في الموانئ الأوربية والآسيوية حتى وصلت إحدى سفنه إلى نيويورك[٣٣]. ووضع السيد سعيد زنجبار في مكانة تجارية مهمة، حيث كانت محطة تجارية مهمة في الإمبراطورية الساحلية التجارية والتي كان هدفها فتح شرق أفريقيا مما أدى إلى ازدهار التجارة في المحيط الهندي[٣٤]. وازدهرت تجارة العاج حيث زيادة أعداد الفيلة وتقدم وسائل صيدها[٣٥]. أدرك السيد سعيد بن سلطان أنه عند انفتاح العمق الشرقي الإفريقى فإن كل الثراء والنعمة ستعم على الساحل وعلى عمان. على هذا الأساس شجع السلطان السيد سعيد العرب الذين أتو معه من عمان والذين سبقوه في الوصول والاستقرار منذ عهد أجدادهم بدخول العمق الإفريقي.وفى خطط سياسته لجعل زنجبار مركزا تجاريا لشرق إفريقيا أحسن السيد سعيد الترحيب والكرم لجميع التجار الأجانب فأبرم اتفاقيات تجارية مع الولا يات المتحدة الأمريكية ١٨٣٣م ومع انجلترا ١٨٣٩م ومع فرنسا ١٨٤٤م ومنح تجار هذه البلاد العديد من الفرص والامتيازات التجارية. ساهم الهنود في إنعاش الحركة التجارية والمالية في شرق إفريقيا. فلقد شجعهم السيد سعيد الهنود كثيرا على تيسير أمور التجارة والاستثمار وأشركهم في مجالسه العليا في زنجبار[٣٦].

ولقد كان للهنود دور مؤثر في أوجه الحياة المختلفة في شرق أفريقيا وشجعهم السيد سعيد على الاتجار والاستقرار في أملاكه في شرق أفريقيا[٣٧]. ولقد أُشيع مثلُ يوضح مدى الازدهار التجاري في

---

(٢٩) حمامه خلفان أحمد غيث :التأثيرات العُمانية فى زنجبار رسالة ماجستير غير منشورة معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ١٩٨٩ص : ١٨٢.

(٣٠).Lofchie Michael F: Zanzibar Background to Revolution London 1965. P.5

(٣١).Fage J.D: AHistory of Africa London 1960 P. 292

(٣٢).Lofchie Michael F: Op. Cit. P.43

(٣٣) ناصر بن حميد العدوى ، : فاتح الكونغو نماذج من البحوث الفائزة في مسابقة المنتدى الأدبي ط١ وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عُمان ٢٠٠١ص ٣٣

(٣٤).Fage J.D :A History of Africa London 1960p. 295

(٣٥).Ibid: p. 293

(٣٦) عيسى بن ناصر بن عيسى الإسماعيلي : زنجبار التكالب الإستعمارى فى تجارة الرق ترجمة مبارك بن خلفان بن ناجم الصباحى مسقط د. ت ص ٢٣

٣٧) تركي ، بنيان سعودي :الجالية الهندية في شرق إفريقيا مجلة المؤرخ المصري العدد ١٣ يوليو ١٩٩٤ ص١١

السلطنة العربية وهو إذا وقع صفير في زنجبار رقص على آثاره الناس في البحيرات when one pipes in Zanzibar they danceon the lackes هذا المثل يوضح وصول تجارة زنجبار إلى أواسط أفريقيا.[٣٨] ومن ضمن إصلاحات السيد سعيد الاقتصادية نجده يشجع هجرة اليهود إلى شرق إفريقيا بخبرتهم ورؤوس أموالهم وأسهموا في النهضة الاقتصادية والتوسع في زراعة القرنفل والبحث عن أسواق جديدة[٣٩].

على أية حال فلقد ازدهرت التجارة في عهد السيد سعيد ولقد أقامت الجماعات العربية تنظيمات تجارية حيث أوجدت خطوطاً منتظمةً من القوافل تصل بين ساحل إفريقيا الشرقي والداخل وأصبحت زنجبار بمثابة المركز الرئيسي للتجارة[٤٠]. ومن أهم المراكز التجارية آنذاك مدينة بجمايو Bagamoyo على الساحل التنزاني المواجه لجزيرة زنجبار حالياً حيث كانت في الطريق إلى الداخل من تنجانيقا وبه مجموعات دينية وعرقية[٤١]. ويقول لوفتشيى Lofchie عما وصلت إليه زنجبار من قوة في منتصف القرن التاسع عشر كانت زنجبار القوى الأُولى في المحيط الهندي[٤٢].ولقد كان النجاح العظيم للإمبراطورية الزنجبارية مرتبطاً بشخصية السيد سعيد كحاكم وقائد لهذه الإمبراطورية[٤٣].

أما عن سياسته الخارجية فقد ذاع صيت زنجبار في العالم آنذاك، وأصبحت ذات شهرة عالمية في عهده، حيث سعت الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية لإقامة علاقات اقتصادية وسياسية مع السلطنة العربية الأفريقية الآسيوية في عهد السيد سعيد بن سلطان. فكانت زنجبار أُولى الدول العربية التي عقدت معاهدة رسمية مع الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٣٣ وأنشأت قنصلية لها عام ١٨٣٥ وتولى أعمالها التاجر الأمريكي ريتشارد ولترز[٤٤]، ولقد كانت المصالح الأمريكية في شرق أفريقيا تتمثل في كونها مصدراً للرقيق الذي أخذته للعمل في مزارع القطن وسعت للتجارة مع زنجبار للحصول على العاج و توريد الأسلحة وبيعها في شرق أفريقيا في القرن التاسع عشر[٤٥]، ولقد كان لاتفاقية عام ١٨٣٣ مع الولايات المتحدة الأمريكية أثر مهم حيث جعلت السيد سعيد يشعر بأهميته وقدرته على الدخول في اتفاقية مع دول كبرى والشعور بالندية والاستناد إليها في مواجهة الدول الكبرى الأخرى خاصة انجلترا وفرنسا.[٤٦] وسارعت الدول الأخرى في عقد اتفاقيات تجارية وفتح القنصليات مع السلطنة

---

٣٨)صلاح العقاد و جمال زكريا قاسم: زنجبار القاهرة ١٩٥٧ ص: ٧٩.

(٣٩)،حسن أحمد محمود :الإسلام والثقافة العربية في أفريقية ج ١ القاهرة ١٩٦٣ ص ص ٤٩٩، ٥٠٠

(٤٠) رأفت غنيمى الشيخ ،: أفريقيا في التاريخ المعاصر القاهرة ١٩٨٢ ص ٣٤٠

(٤١).Brown Walter T: The Politics of Business Relation between Zanzibar and Bagamoyo in the late Nineteenth Century. African Historical Studies vol 40 No3. 1971 P.631

(٤٢).Lofchie Micheal F:Op. Cit P.52

(٤٣).Fage J.D: Op. Cit P. 300

(٤٤).Sheriff Abdul & Ed Fergusion: Zanzibar Colonial Rule London 1991.P.15

(٤٥).Shepperson George :The United States and East Africa: Pylons (1940-1956), Vol. 13, No. 1 (1st Qtr., 1952), P. 28

(٤٦) رأفت غنيمى الشيخ :صلات عُمان بالولايات المتحدة الأمريكية، سلسلة تراثنا، العدد ١٩ القاهرة ،١٩٨٣م،ص:٢٠ .

العربية.فعقدت بريطانيا معاهدة مع زنجبار عام ١٨٣٩ وفتحت قنصليتها في عام ١٨٤١ وفى عام ١٨٤٧افتتحت فرنسا قنصليتها في زنجبار[٤٧].

وعن حدود هذه السلطنة المترامية الأطراف التي كانت تسعى إليها الدول الكبرى لعقد اتفاقيات فقد حددت اتفاقية عام ١٨٤٥ التي عقدتها بريطانيا مع السيد سعيد بخصوص تجارة الرقيق أن ممتلكات السيد سعيد تمتد شمالاً حتى رأس حفون. وبذلك قد شملت ساحل تنجانيقا وكينيا والجزء الأكبر من ساحل الصومال ولكن بريطانيا ما كانت لتعترف للسيد سعيد بهذه الحدود لولا أن مصلحتها اتفقت مع هذا الاعتراف والواقع أن السيد سعيد كان يتصور أن ممتلكاته تمتد إلى ما وراء هذه الحدود فادعى في بعض الأحيان أنها تصل إلى رأس جردفون شمالاً في الصومال وتضم جزيرة سُقطرة والكومور قرب جزيرة مدغشقر[٤٨].

وتميز نظام الإدارة لهذه الإمبراطورية الواسعة بالبساطة وعدم التعقيد لأن التجارة كانت هي الطابع المميز لهذه الإمبراطورية العُمانية في شرق أفريقيا، وبالتالي فإنالاتجاه إلى وضع الأنظمة الإدارية والاقتصادية في تلك الإمبراطورية، كان يستهدف بالدرجة الأولى الحرص التام على إنعاش الناحية الاقتصادية ويتضح ذلك من تبسيط نظام الضرائب وجعله مطابقاً للنظام الجمركي الذي كان معمولاً به في مسقط حيث كانت الضريبة المفروضة على الواردات التي تأتى إلى الموانئ الأفريقية لا تتجاوز ٥%من قيمتها في حين أُعفيت الصادرات تماماً من الضرائب[٤٩].

بدأ تقطيع أوصال هذه الإمبراطورية بعد وفاة السلطان السيد سعيد بن سلطان الذي كان يتنقل خلال فترة حكمه بين مسقط وزنجبار، فكان يعين ابنه ماجداً نائباً عنه في زنجبار أثناء وجوده في الساحل العُماني ويعين ابنه ثوينى نائباً عنه في مسقط أثناء وجوده في الساحل الأفريقي[٥٠]، ووافق ماجد على هذا التقسيم بخط يده[٥١].

وكان هناك أهم الطرق التي حددها العرب لسير القوافل سواء التجارية أو قوافل الحجاج ذلك الطريق الذي يبدأ عند بجمايو Bagumoyo في مواجهة زنجبار ويتجه جنوباً ثم ينحني في اتجاه الشمال الشرقي لتجنب المرتفعات وتقع عليه أكبر المستعمرات العربية تابورة على بعد ٦٠٠ ميل من الساحل وينتهي هذا الطريق عند بحيرة تنجانيقا. ومما يستدعى الانتباه أن الألمان أنشؤوا الخط الحديدي الرئيسي في ممتلكاتهم الأفريقية على أساس طرق القوافل العربية. وأصبحت مدينة تابورة عقدة المواصلات الداخلية وإلى الجنوب منها يبدأ طريق آخر من كلوه وينتهي عند بحيرة نياسا ويتفرع منه

([٤٧]) جمال زكري قاسم: الدولة العُمانية فى شرق إفريقيا ندوة الدراسات العُمانية ج ٣ وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان ١٩٨٠م،ص: ١١٥.

انظر ترجمة نصوص هذه المعاهدات التي عقدت مع السيد سعيد في كتاب سلطان بن محمد القاسمى: تقسيم الإمبراطورية العُمانية ١٨٥٦-١٨٦٢ ط ١ الإمارات ١٩٨٩ ص ٣٢٤ وما بعدها.

([٤٨]) صلاح العقاد و جمال زكريا قاسم :مرجع سابق ،ص: ٦٤ ، ٦٥.

([٤٩]) جمال زكريا قاسم ، : الدولة العُمانية مرجع سابق ص: ١٠٨.

([٥٠]) يحيى مطر : نظرة على زنجبار مجلة العربي العدد ٥٧٦ نوفمبر ٢٠٠٦ ص: ٤٩.

([٥١]) انظر نص الوثيقة في كتاب ،سلطان بن محم القاسمى، مرجع سابق، ص: ٣٦١.

طريق بمحاذاة سهل نهر «روفما» بين الممتلكات العربية والبرتغالية، ومن أطول هذه الطرق ذلك الذي يبدأ من بمبا وتابورة بالطريق الأول ثم يستمر في الاتجاه شمالاً حتى بحيرة فيكتوريا. ووصل التجار العرب إلى عاصمة مملكة بوغنده وأصبحوا على مقربة من التجار العرب الذين يأتون إلى هذه المناطق من السودان[٥٢]، وكانت العلاقة التجارية بين زنجبار وبجمايو علاقة قوية في القرن التاسع عشر حيث كانت بجمايو مدينة ذات سمعة حسنة في ساحل تنجانيقا وأهميتها أنها كانت الطريق إلى أوجيجى Ujiji التي كانت تحتوى على جنسيات وديانات وعرقيات مختلفة.."[٥٣].

يتضح لنا جهود أسرة البوسعيد في التوجه إلى داخل القارة خاصة في عهد السلطان السيد سعيد الذي كان هدفه في المقام الأول التجارة فشجع التجار على التغلغل إلى الداخل لجلب العاج والمواد الخام من إفريقيا فوصلوا إلى الكونغو زائير حالياً وأسسوا مراكز عربية من أمثال تابوره وأو جيجى ودار السلام وغبرها. ومهدوا الطرق التي كانوا يسيرون فيها إلى منطقة البحيرات العظمى سواء بحيرة فكتوريا أو نياسا وغيرها وعندما احتلت بلجيكا الكونغو استفادت من النظم العربية هناك. وعندما أرادت ألمانيا عمل خط سكة حديد أقامته متمشياً مع طرق القوافل العربية. واستخدمت طرق التجارة كطرق سلكها حجاج شرق أفريقيا لموانى شرق أفريقيا للانضمام لقافلة الحج اليمني التي كانت تضم حجيج اليمن والهند وماليزيا وإندونيسيا،وينضم لهم حجاج الحبشة والصومال والأفارقة الذين يصلون إلى مصوع، وسواكن، وموانئ اليمن. كانت القوافل تضم عناصر مختلفة، ففيها الأمراء، والأثرياء، والتجار ومعهم تجاراتهم، والفقراء، والمعدمون، وكان كلٌّ حسب قدرته يرافق القافلة، ففيها الهودج وفيها الجمال والخيول، وفيها الرجالة من البدو والفقراء. وكان الولاة يقومون باستئجار الجمال والخيول لحمل مهمات القافلة، ويتعاقدون على ذلك قبل موسم الحج بوقت كافٍ ويتفقون على ذلك مع مشايخ الأعراب والبدو الذين يعيشون في المناطق التي تسلكها القوافل .

وكانت مشاعر الحب والإيمان تملأ حجاج بيت الله الحرام من الأفارقة وتزرف عيونهم دموعاً من الفرحة للوصول إلى هذه الديار المقدسة وحكى على محسن البروانى القائد العربي والذي شهد سقوط الحكم العربي مشاعره عند رؤيته الكعبة المشرفة للمرة الأولى وكيف زرفت عينيه فرحا برؤيته الكعبة المشرفة واستشعار مناسك وشعائر الحج والعمرة[٥٤].

ثالثا: الطريق البحري من زنجبار إلى جدة:

يفصل الأفارقة عن مكة المكرمة وبلاد الحجاز البحر الأحمر الذي مياهه مهمة وإستراتيجية؛ لتأمين بلاد الحجاز التي فيها قبلة المسلمين فمن هنا كانت الدولة العثمانية تحافظ على أمن هذا البحر لأنه قريب من الحرمين الشريفين هو من المحافظة على الأمن القومي العربي الإسلامي والأمن القومي السعودي بوجه خاص حيث إن البحر الأحمر أعظم طرق المواصلات البحرية قديماً وحديثاً خاصةً بعد افتتاح قناة السويس ففي العالم القديم كان يحمل التوابل بين الشرق والغرب وأصبح في

---

٥٢) صلاح العقاد ، و،جمال زكري قاسم ا : مرجع سابق ص ٧٧

(٥٣).The exploitation of East Africa(1856-1890)London 1939. PP .305 , 306

٥٤) على بن محسن البروانى : الصراعات والوئام في زنجبار ذكريات على بن محسن البروانى مسقط ٢٠١١م، ص:٦٨٢

العصور الحديثة أخطر طرق المواصلات البحرية في العالم حيث يحمل النفط من مناطق الشرق في الخليج العربي وإيران وشبه الجزيرة العربية إلى أوربا الصناعية والولايات المتحدة الأمريكية فأصبح محط أنظار المخططين السياسيين والعسكريين وموضع اهتمام واضعي القرار السياسي ومحور صراعات معقدة بين القوى الدولية المتصارعة وكذلك القوى المحلية والإقليمية المتنافسة[٥٥].

وحديثاً أدرك الملك عبدالعزيز أهمية البحر الأحمر وأمنه بالنسبة للمملكة العربية السعودية فكانت وزارة الخارجية السعودية في مدينة جدة بعيدة عن العاصمة الرياض لإدراكه أهمية هذه المياه وكذلك لتكون قريبة من حضارة الحجاز العريقة ومنتجات عسير الزراعية والأماكن المقدسة الإسلامية و الملاحة الدولية عبر قناة السويس، وكان البحر الأحمر طريق اتصال أكثر منه حدوداً، إذ يستطيع البحر أن يلعب هذين الدورين على الدوام في آن واحد والعلاقات بين ضفتي البحر مكثفة إلا أنه كان يتعذر حتى عهد قريب قيام منظمة تضم الدول التي لها شواطئ على البحر الأحمر[٥٦].

ولقد رسم الملك عبدالعزيز سياسته الخارجية على أسس مهمة، صار عليها خلفاؤه من بعده أقاموا علاقات وثيقة أخوية مع الدول العربية والإسلامية انطلاقاً من موقعها الجغرافي المتميز وكونها مهد الإسلام وفيها قبلة المسلمين. وبعد سقوط الخلافة العثمانية ظهر في العالم الإسلامي كحامى حمى المسلمين والمدافع عن القضايا العربية والإسلامية بحكم مكانة المملكة العربية السعودية بين المسلمين والعرب حيث إنها مهد الإسلام وبها قبلة المسلمين[٥٧].

ولقد خافت إسرائيل من السيطرة العربية على البحر الأحمر. علمت إسرائيل أن هناك تقارباً بين مصر بقيادة الزعيم الراحل عبدالناصر والحزب الوطني الزنجباري في سلطنة زنجبار كما ذكرت وخشيت من سيطرة عربية على البحر الأحمر المنفذ الهام لإسرائيل خاصة بعد وجود قوات مصرية في عدن لمساندة الثورة اليمنية في حرب اليمن ١٩٦٢– ١٩٦٧في الوقت الذي كانت تسعى إسرائيل لإقامة علاقات مع دول إفريقيا والوقوف ضد العلاقات التي كانت تسعى مصر لإقامتها آنذاك مع دول أفريقيا. كان النفوذ الإسرائيلي قوياً في تنجانيقا وظهر ذلك في دور الهستدروت اتحاد نقابات العمال الإسرائيلي الذي تعاون مع الحكومة الإسرائيلية في مجال السياسة الخارجية عن طريق تقديم المساعدات الفنية والاقتصادية فكان الهستدروت الوجه الآخر لوزارة الخارجية الإسرائيلية في تنفيذ المخططات الإسرائيلية، ونجحوا في الميدان الزراعي والتجاري والإعلامي والعسكري في تنجانيقا، وكان هدف إسرائيل من التغلغل في تنجانيقا مجابهة الوجود العربي وبالأخص المصري كما ذكرت[٥٨].

ولقد كان روح إسرائيل ومستقبلها في ميناء إيلات على خليج العقبة الذي تم فتحه بعد حرب السويس ١٩٥٧م أمام الملاحة الإسرائيلية مما كان له أثر كبير وعامل مساعد هام في التغلغل الإسرائيلى لشرق

صلاح الدين حافظ : مرجع سابق،ص: ٧٦.

٤٢) غسان سلامة ، السياسة الخارجية السعودية منذ ١٩٤٥ دراسة فى العلاقات الدولية معهد الانماء العربى ط ١، ١٩٨٠م، ص: ٢٤٣.

٤٣) أحمد عسر، معجزة فوق الرمال، ط٣ ، لبنان – بيروت، ١٩٧٢م، ص: ١٣٤ .

٥٨) ماهر عطية شعبان: مشاكل أفريقية معاصرة القاهرة ٢٠١١م ص :٩ وما بعدها

القارة الإفريقية وتأمين طريق البحر الأحمر بمثابة عصب السياسة الخارجية الإسرائيلية والعلاقات الخارجية الإسرائيلية في شرق إفريقيا[٥٩].

كان حجاج بعض غرب أفريقا عبر طريق سودان وادي النيل ثم ساحل البحر الأحمر ثم الحجاز وإن كان الطريق غير مأمون لتعرض قوافل الحجاج للنهب بسب الحروب الداخلية[٦٠].

وكان حجاج شرق أفريقا عبر مواني‌ء دار السلام وزنجبار وممبسه ومقديشو يتوجهون عبر البحر الأحمر إلى ميناء جدة الإسلامي الذي يقع في مدينة جدة في منتصف ساحل البحر الأحمر. أنشئ ميناء جدة في عهد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان سنة ٢٦هـ / ٦٤٦ م ليحل محل ميناء الشعيبة. ويرى البعض أن جدة ميناء قديم يعود تاريخه إلى الفترة السابقة للإسلام. ازدهرت جدة وازدادت عمارتها لتصبح الميناء الرئيس لمكة المكرمة، مما أهلها لأن تصبح أعظم موانئ الحجاز، فضلاً عن قربها من الموانئ الجنوبية لشبة الجزيرة العربية لا سيما عدن، وتوسطها بين الموانئ الحجازية، وكذا قربها من ميناء سواكن وعيذاب. ولقد تضافرت كل هذه العوامل لتجعل ميناء جدة يستقطب تجارة البحر الأحمر لقرون عدة.

ولقد كانت رحلة حجاج السودان ونيجيريا تستغرق أحياناً عدة سنوات فقد حكى عبدالله فيلبي أنه التقى خلال رحلته للحج عام ١٩٣١م التقى التكارنه وأنهم كانوا يعملون في مزارع القطن في السودان وهم في طريقهم للحج وقابل رجل حكي له أنه بدأ الرحلة وكان لديه طفل واحد ثم أصبحت أسرته ستة أفراد بعد انتهاء الحج استغرقت رحلته أربع عشر سنة وحكى معاناة الحجاج الأفارقة في رحلتهم للحج وأن بعضهم كان يؤثر البقاء في مكة عن العودة لطول الطريق في العودة وحبه للبلد الحرام[٦١].

رابعاً: جهود العثمانيين في حماية الطريق البحري إلى جدة:

منذ عام ١٥١٧ أصبحت مسؤولية حماية البحر الأحمر وسواحله تقع على عاتق العثمانيين وأعلنوا أنفسهم حماة الأماكن المقدسة وكان الغزو البرتغالي لشرق أفريقيا تهديداً مباشراً للأماكن المقدسة الإسلامية التي كانوا يعتبرون حمايتها شرفاً لا يعدله شرف ومصدراً أساسياً لقوة نفوذهم في العالم الإسلامي كله[٦٢]، وحافظت الدولة العثمانية على معظم العالم الإسلامي وطرق الحج وحدود الدولة الإسلامية البرية من هجمات البرتغال[٦٣].

كانت الدولة العثمانية تنظم أربع قوافل رسمية لأداء الحج حيث نظرت الدولة العثمانية للحج على أنه الركن الخامس من أركان الدين الإسلامي وأنه واجب ولى الأمر تيسير الحج للراغبين في أداء هذه الفريضة فأنشأت الآبارعلى طول الطرق المؤدية للحجاز وأقامت في البادية حصونا لحراسة الآبار

---

[٥٩])ا لمرجع سابق ص ١٠.

[٦٠]) شوقي عطا الله الجمل :الحضارة الإسلامية العربية في غرب أفريقيا:مجلة الدراسات الأفريقية العدد الثامن القاهرة ١٩٧٩ ص ٤٣

[٦١])هارى سانت جون فيلبي عبدالله) فيلبي: حاج في الجزيرة العربية ط ١ الرياض ١٤٢١هـ ص ٣٧

[٦٢])محمد نصر الدين محمد إبراهيم عثمان : السياسة العثمانية في جنوب البحر الأحمر وساحل الصومال ١٥٣٨- ١٥٧٨ ماجستير غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة ١٩٩٤م، ص: ٢٠٥

[٦٣]) المرجع نفسه، ص: ٢٠٩

وشجعت على تشييد الخانات. وكانت تتحرك كل سنة أربع قوافل حج رئيسية من كافة أنحاء الدولة في مواعيد محددة وفق نظام رتيب في رفقة قوة عسكرية يقودها أحد كبار العسكريين يسمى سردار الحج وكانت كل قافلة ترأسها شخصية كبيرة تسمى أمير الحج قافلة الحج الشامي وتضم حجاج بلاد الشام والجزيرة وكردستان وأذربيجان والقوقاز والقرم والأناضول والبلقان وحجاج استانبول نفسها. ثم قافلة الحج المصري وتضم حجاج مصر وشمالي أفريقيا ثم قافلة الحج العراقي وتضم حجاج العراق وفارس ثم قافلة الحج اليمنى وتضم حجاج اليمن والهند وماليزيا وإندونيسيا وحجاج شرق أفريقيا الحبشة والصومال[٦٤].

كانت ولاية الحجاز ولاية مميزة في الدولة العثمانية حيث بها الأماكن المقدسة فكانت معفاة من الضرائب وكان يخصص لها اعتمادات مالية من ميزانية الحكومة المصرية[٦٥].

خامساً : رحلات حج سلاطين زنجبار:

كانت هناك علاقة بين الدولة العثمانية وسلطنة زنجبار في شرق أفريقا بدأت هذه العلاقات في فترة مبكرة في القرن السادس عشر بسبب الهجمات البرتغالية التي تعرضت لها شرق أفريقيا وعمان فكان الكفاح ضد البرتغال نقطة الالتقاء بين الدول الثمانية وسلطنة زنجبار . وتبلورت العلاقات بين الدولتين في عهد السلطان عبدالحميد الثاني ١٨٧٦-١٩٠٩وظهرت كعلاقات ودية وقوية. فقد أمر السلطان عبدالحميد ولاته على الحجاز بتقديم خدمة خاصة لرعاية سلاطين زنجبار وأسرهم عند قيامهم بأداء فريضة الحج. وتجلى ذلك في رحلة الحج التي قام بها السيد برغش سطان زنجبار* عام ١٨٧٧ وأسرته في حج ١٣١٢ هـ والسلطان على بن حمود ١٩٠٢- ١٩١١ في موسم حج ١٣٢٠ هـ.[٦٦]ولقد لقي السيد على بن حمود ترحيباً كبيراً من حاكم عام بلاد الحجاز حيث أطلقت له ٢٧ طلقة تحية له ولقي الرعاية طوال إقامته في مكة المكرمة مما أثار حفيظة الانجليز وعندما عاد لم يكن منصاعاً لأوامر الانجليز[٦٧].

كذلك أرسل السلطان عبدالحميد المبعوثين إلى سلطنة زنجبار بحكم كونه خليفة المسلمين من أجل قيام علاقات قوية مع زنجبار. فلقد زار أمين أفندي زنجبار عام ١٨٧٨م وأرسل معه نيشان للسلطان برغش ورسالة تحثه على أهمية الوحدة الإسلامية. وكذلك أرسل السلطان عبدالحميد الثاني مبعوثه شكري بيه لحضور حفل تنصيب السلطان خليفة بن سعيد بن سلطان ١٨٨٨- ١٨٩٠ وأمر سلطان زنجبار برعاية المبعوث العثماني الذي حمل رسالة من السلطان عبدالحميد تحثه على استمرار العلاقات بينهما. فرد السلطان خليفة برسالة توضح شكره وامتنانه له وأنه حامى حمى المسلمين. وكذلك أرسل السلطان عبدالحميد مبعوثه عبدالقادر أفندي عام ١٨٨٩ والتي كان هدفها الوقوف على الوضع في سلطنة زنجبار والتكالب الاستعماري عليها وكيفية مواجهته .وكذلك أرسل السلطان عبد الحميد محمد

---

[٦٤]) عبد العزيز محمد الشناوي : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ج ١ الانجلوالمصرية القاهرة ١٩٨٠ م، ص: ٥٧ و٥٨

[٦٥]) المرجع سابق، ص: ٦٥.

(٦٦)محمد التونجى : العلاقات العثمانية مع زنجبار فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى ضمن أبحاث مؤتمر الدور العمانى فى الشرق الإفريقى مسقط ديسمبر ٢٠١٢م، ص: ٤٦٣.

(٦٧) عيسى بن ناصر بن عيسى الإسماعيلى : زنجبار التكالب الاستعمارى وتجارة الرق ترجمة مبارك بن خلفان بن ناجم الصباحى د. ت ص ٨٦.

الفاتح والى اليمن العثماني إلى زنجبار الذي أرسل رسالة منه إلى السلطان حامد بن ثوينى ١٨٩٣-١٨٩٦ وكتب محمد الفاتح مخطوطة مهمة، موجودة في مكتبة اسطنبول، توضح الأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية في تلك الفترة.وأرسل السلطان على بن سعيد رسالة للسلطان عبد الحميد يعلمه بتولية الحكم وحاجته إلى التحالف مع الدولة العثمانية[٦٨].

وكانت تلبية السيد على بن حمود لمشروع الجامعة الإسلامية ذروة هذه العلاقات لكن ما هو هذا المشروع و ما هي دوافعه ؟ نشأت فكرة الجامعة الإسلامية في أواخر القرن التاسع عشر كرد فعل للضغط الاستعماري الأوربي على الشرق الإسلامي بصفة خاصة.وظهرت دعوة الوحدة الإسلامية لها على صفحات جريدة العروة الوثقى التي أسسها جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وكان السلطان عبد الحميد الثاني صاحب هذه الفكرة والتي تستهدف جمع المسلمين في حوزة دولة واحدة تحت ظل الخلافة العظمى . ولاقت الدعوة نجاحاً بين بعض الدول العربية[٦٩].

ولقد جهز السيد برغش ثلاث سفن لحجاج بيت الله من زنجبار بعد إعصار زنجبار ١٨٧٢م حيث حدث في زمن دولة السيّد برغش بن سعيد، وتحديدًا في يوم الاثنين، الموافق ١٥ أبريل ١٨٧٢م، أن شهدت مدينة القرنفل الزنجبارية كارثة بيئية عظيمة، تمثّلت في إعصارٍ مُدمّر، ألحق خسارة متوسطة في الأرواح، وفادحة في الأموال. لم نقف على عدد ضحايا الإعصار؛ ومع ذلك، فالثابت يشيرُ إلى أنه ألحق بأشجارِ القرنفل والنارجيل وسائر الأشجار، دمارًا جسيمًا، اقتلع غالبيتها، وتسبَّبَ في هدمِ الكثيرِ من البيوت، دون أن يصل الإعصار ولا أثره إلى جزيرة بيمبا، شمال جزيرة زنجبار Unguja. فالبداية تمثلت بهطول أمطار غزيرة ابتداءً من السادسة والنصف من مساء يوم الأحد ١٤ أبريل، واستمرت كذلك حتى أخذت تتراخى في الفترة ما بين الثامنة حتى العاشرة مساءً، وكذا الحال بالنسبة لقوة الرياح؛ مع ذلك، استمرت الرياح والأمطار متقطعة طوال الليل. وحتى الساعات الأولى من الفجر اليوم الموعود ١٥ أبريل، لم يكن هناك ما يشير إلى أن الوضع غير طبيعي، لتزامنه مع فترة الأمطار الغزيرة بفعل الرياح الموسمية، المعروفة بفترة أمطار الماسيكا Masika، التي تبدأ عادةً من منتصف مارس، وتستمر إلى نهاية مايو من كلّ سنة. ومنذ الصباح الباكر حتى الثامنة صباحًا بدأت العامة تشعر بالخوف الشديد والقلق، لاشتداد الرياح وانهمار الأمطار بشكلٍ غير معهود، حتى بدا كلُّ ما في الأفقِ مُكفهرًا؛ وهو ما جعلهم يعتقدون فعلاً أنهم يتعرّضون لعاصفةٍ هَوجاء؛ لاسيما عند مُشاهدتهم لأسقفِ المنازل، وتلك التابعة لقصرِ السُّلطان أيضًا، تتطاير نحو البحرِ بفعل الرياحِ العاتية. كما أن البحر الهائج أخذ في ابتلاع وتحطيم ما يقرب من ١٥٠ من القوارب المملوكة للعرب والهنود، أغلبها كانت مُحمّلة بالبضائع. لم تكن للبحرية السُّلطانية الشديدة المنعة، والتي كانت مصدرَ فخرٍ واعتزاز مُؤسّسها، السُّلطان سعيد بن سلطان، أن تصمدَ أمام عُتُوِّ تلك الريح الصَّرصَر، فتحطَّمت الفرقاطة شاه علم؛ وكذا الفرقاطة سليمان شاه، التي كانت عائدة لتوِّها من بومباي؛ وكذا ثلاث سفن بخارية، منها "Star"، وأخرى باسم السلطان، وثالثة باسم Sea King؛ وقرويطة Corvette باسم

---

[٦٨] محمد التونجى: مرجع سابق ص: ٤٦٥.

[٦٩] يلماز أوز تونا : تاريخ الدولة العثمانية ترجمة عدنان محمود سلمان مراجعة محمود الأنصاري المجلد الثاني ط ١، استانبول ١٩٩٠م، ص : ١٥٦ .

اسكندر شاه. بعض هذه القطع البحرية ابتلعتها الأمواج، وألقت ببعضها إلى الشاطئ، بعد أن ألحقت بها أضرارًا، عصيّةً هي عن الوصف[٧٠]، وبالنظر إلى أن القرنفل مثّل آنئذٍ العمود الفقري للاقتصاد الوطني الزنجباري، فإن كارثة كهذه عُدَّت وبحق، ضربةً مفصليةً في الاقتصادِ الوطنيّ. أشار بعض المحللين الاقتصاديين آنئذٍ إلى أن "زنجبار بحاجة إلى مُعجزة لتفلت من المجاعةٍ مُحقَّقة"[٧١].

ولشدّةِ الدمار الذي تعّرضت له زنجبار، يقول الأبروي: "إن هذا الحدث يُعدُّ حدثاً تاريخيًا هامًا وبارزًا في تاريخ زنجبار الحديث؛ ومع ذلك، لم يحظَ باهتمام الباحثين". كما يستفاد من المغيري أن تلك الريح العاتية سلَّطها الله على زنجبار، عقابًا للتصرّف الذي بدر من سلطانها، السيد برغش بن سعيد بن سلطان، بإطلاقه ١٠١ مائة طلقة مدفع، وطلقة واحدة، ابتهاجًا بمقتل الإمام عزّان بن قيس البوسعيدي؛ وبجلوسِ أخيه، السيّد تركي بن سعيد على عرشِ عُمان. فعندما ضرب الإعصار، واشتدَّ هوله، اجتمع السّلطان بمستشاريه، وكان من بينهم الشيخ الفرعي يقال إنه الشيخ محمد بن سعيد الفرعي؛ وهناك من يقول إنه القاضي الشيخ حمود بن سيف بن مسلم الفرعي مُفتي عام زنجبار آنئذٍ، الذي واجهه بكل شجاعة قائلاً: "هذا جواب طلقة واحدة من طلقات مدافعك". مؤكّدًا أن فعلته تلك تستدعي كفارة، واقترح عليه أن يعملَ عملاً يجلب الخير لأمة المسلمين. وفي وقتٍ لاحق، أشار عليه أحد جلسائه المقرّبين بأن يأمر بجلب المياه لعامة الشعب، من عين موانيانيا Mwanyanya، بجانب منطقة بوبوبو Bububu، عبر مواسير إلى منطقة ساعتين Saateni، التي تبعد عنها مسافة خمسة أميال تقريبًا، ويتخذ من الأخيرة نقطة لتوزيع المياه، لقربها من المدينة، ولسهولة الوصول إليها، فأخذ السّلطان بالمقترح، تنفيذًا للمشورة، وتيسيرًا لعباد الرحمن، لا يزال يُذكر ويحمد على صنيعِه حتى يومنا هذا.

كان أظهر المغيري تدين السيد برغش بن سعيد فكان يومه يبدأ من صلاة الفجر من بيت الحكم الذى بناه السيد ماجد بن سعيد وبعد الصلاة يتلون ما تيسر من القرآن الكريم حتى تطلع الشمس ثم يقومون لسنة الضحى ثم ينصرف القوم[٧٢] أي أن تدين سلاطين زنجبار جعلهم يهتمون بقضاء فريضة الحج والذهاب لبيت الله الحرام.

سادساً : النتائج والآثار والتوصيات

لقد كانت لرحلات حجاج شرق أفريقيا العديد من النتائج والآثار الثقافية والدينية والاقتصادية فلقد كانت قوافل الحجاج المحطات التي يقفون فيها أثناء رحلات الحج مراكز تجارية عامة انتشرت فيها اللغة العربية والإسلام في الداخل الأفريقي من تابورا في غرب تنجانيقا إلى سواحل شرق أفريقيا. فكانت رحلات الحجاج سبباً في تنمية المناطق الداخلية وازدهار التجارة الداخلية.وانتشرت اللغة السواحيلية التي هي مزيج من اللغة العربية ولغة البانتو الأفريقية وكانت لغة الحوار والمعاملات التجارية. انتقلت عادات المسلمين الحجاج وأخلاقهم إلى المناطق الداخلية فكانت سبباً في انتشار الإسلام في هذه المناطق.حدث

---

he Illustratedl London News, June 1st, 1872

(75) The Spectator, *The hurricane in Zanzibar,* 25 May, 1872, p. 3

٧٦) سعيد بن على المغيري: مصدر سابق، ص: ٢٢٦ -٢٢٧ .

تزاوج حجاج شرق إفريقيا مع أهل المناطق التي زاروها.واستقر بعض الحجاج في مكة المكرمة ولم يرجع إلى شرق أفريقيا.

اهتم سلاطين زنجبار بحج بيت الله الحرام فلقد حج السيد برغش بن سعيد عدة مرات وجهز ثلاث سفن للحج في عام إعصار زنجبار ١٨٧٢م ومعظم سلاطين زنجبار وكانت الدولة العثمانية تعطي عناية خاصة لسلطان زنجبار.

اهتمت الدولة العثمانية بالمحافظة على أمن البحر الأحمر للحفاظ على أمن الأماكن المقدسة في بلاد الحجاز وفلسطين.وكانت توفر سبل الراحة والأمان لحجاج بيت الله الحرام. توصى الدراسة بمزيد من الدراسات عن الحج وأن يعقد المؤتمر القادم في مكة المكرمة.وأن يكون الحج مؤتمر إسلامى يناقش فيه قضايا المسلمين ويعمل على حلها.

المصادر والمراجع

أولاً: مصادر باللغة العربية

١- الإسماعيلي، عيسى بن ناصر بن عيسى : زنجبار التكالب الإستعمار في تجارة الرق ترجمة مبارك بن خلفان بن ناجم الصباحي مسقط د. ت .

٢- سعيد بن على المغيرى :جُهينة الأخبار في تاريخ زنجبار تحقيق عبد المنعم عامر وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عُمان ١٩٧٩

٣-على بن محسن البروانى: الصراعات والوئام في زنجبار ذكريات على بن محسن البروانى مسقط ٢٠١١م.

٤- هارى سانت جون فيلبي، عبدالله فيلبي: حاج في الجزيرة العربية، ط،١ الرياض، ١٤٢١هـ .

ثانياً: المراجع العربية والمعربة

١. أحمد عسر : معجزة فوق الرمال ط٣ لبنان ١٩٧٢ م

٢. السعيد رزق حجاج :الاستعمار الأوربي في أفريقيا وآسيا القاهرة ١٩٨٧ م.

٣. جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية للعلاقات العربية القاهرة ١٩٧٥م.

٤. جمال زكريا قاسم: الدولة العمانية في شرق أفريقيا ندوة الدراسات العمانية ج ٣ وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان ١٩٨٠م.
٥. حمود بن ناصر المعونى :فاتح الكونغو نماذج من البحوث التاريخية الفائزة في المنتدى الأدبي ط ١ وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان ٢٠٠١ م.